**المحاضرة السابعة: القصة في أدب الطفولة:**

**أولا: مفهوم القصة و أهدافها:**

القصة لون رفيع من ألوان الآداب، وكان لها حضور في الآداب القديمة عموما وتتمتع اليوم بموقع ذي أهمية في الآداب الحديثة، وإذا كانت الخرافات والمعتقدات القديمة وأخيلة الإنسان نحو الكون قد ألفت معينا لما أبدع الإنسان من قصص في فجر تاريخه، فإن شؤون النفس و المجتمع - اليوم- هي الزاد الذي تستمد منه القصص في الآداب الحديثة مضامينها([[1]](#footnote-2)).

فالقصة بشكل عام فن أدبي ضارب بجذوره في أعماق التاريخ الإنساني مبنية على مجموعة من الأحداث، والشخصيات المحددة في زمان ومكان معينين وتستند إلى عنصري التشويق و الإثارة ( إنها مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثر والتأثير (...) و القصة حوادث يخترعها الخيال وهي بهذا لا تعرض لنا الواقع كما تعرضه كتب التاريخ، والسير، وإنما تبسط لنا صورة مهمومة منه) ([[2]](#footnote-3)).

والقصة جزء لا يتجزأ من أدب الطفولة، فالأطفال يحبونها ويميلون إليها ويستمتعون بها، ويجذبهم ما فيها من أفكار وأخيلة وحوادث، فإذا أضيف إلى هذا كله سرد جميل وحوار ممتع كانت القصة قطعة من الفن الرفيع المحبب للطفل، لأنها تستثير اهتمامه، فعن طريقها يعرف الخير والشر، كما أنها تزوده بالمعلومات وتعرفه الصحيح من الخطأ، وتنمي حصيلته اللغوية([[3]](#footnote-4))، إنها أفضل وسيلة لتقديم المادة التي نريدها للطفل، لهذا وجب تقديم مواضيع جيدة ومناسبة لعقولهم لأن ( الطفل قارئ جيد للقصص ومستمع ذواق لها، وناقد حصيف لها) ([[4]](#footnote-5)).

فالطفل يتمتع بذكاء كبير ويستطيع أن يميز بين الجيّد والرديء، لكنه يبقى بحاجة إلى توجيه الكبار وإرشاداتهم في اختيار ما يناسبهم من القصص المسموعة، والمقروءة عن طريق (توجيه الآباء والأمهات إلى الشروط اللازمة للقصة الجيدة التي تثري خيال الطفل وتنمي قدراته وعقله، حتى يقدموا لأطفالهم ما يناسبهم وما يفيدهم في يومهم وعدتهم) ([[5]](#footnote-6)).

فلكي يكونوا فرسان الغد وحماته وبناته وجب علينا الاهتمام بهم، والتخطيط لترقيتهم بالتربية الصالحة، والعناية البالغة بهذا الجيل الناشئ وذلك بالتركيز على الأدب المقدم لهم، وبخاصة القصة التي تجعلهم ( ينتقلون في رحابها الشاسعة الفسيحة على جناح الخيال، فيطوفون بعوالم بديعة فاتنة وعجيبة مذهلة، وغامضة تبهر الألباب ويلتقون بألوان من البشر والكائنات والأحداث تجري وتتابع في اتساق عجيب وبراعة تضفي عليها روعة آسرة، هي لهذا من أحب ألوان الأدب إلى القراء، ومن أقربها إلى نفوسهم) ([[6]](#footnote-7)).

فالقصة المروية منها والمقروءة تحتل المكانة الأولى في أدب الأطفال، وهي عبارة عن إبداع مقدم لهم، يحاول توجيه سلوكهم من خلال الأهداف والغايات المسطرة فيها، كما تسعى لإبعاده عن توجه معين من خلال الجوانب الإغرائية المكنوزة فيها.

إنها مصدر هام لتعليم القيم وهي عديدة ومتنوعة هناك قيم اجتماعية مثل الذوق الاجتماعي، وآداب المائدة والاحتفالات والقيم الخلقية مثل حسن المعاملة والمحبة والتعاطف، والوطنية والمحافظة على البيئة، والقيم الدينية الخاصة بما هو موجود في القصص ذات الطابع الديني([[7]](#footnote-8)).

ضف إلى ذلك أن قصص الأطفال تستطيع أن تحقق مجموعة من الأهداف مثل إكساب الطفل فن الحياة وتنمية خياله وذوقه الفني وتنمية حب القراءة، ومساعدته على النمو الاجتماعي، وإمتاعه وإسعاده، وتنمية الثروة اللغوية وغيرها.

كما تمكنه التخلص من السلوكيات غير المقبولة كالعدوان، والوحدة والاكتئاب، وتزج به في عالم من السرور والبهجة والمتعة، إذ يكتشف فيها عالما جديدا يتقمص فيه دور البطولة، ويذهب في رحلات وهمية، ويؤدي ما يرغب فيه من أفعال مختلفة، فأهمية قصص الأطفال تكمن في أنها تبدأ من الواقع الذي يعيشه الطفل وتقترب به تدريجيا من عالم الكبار، أي أنها لا تنطلق من عالم غريب كلي، وإنما يستند إلى أرضية يقف عليها الطفل لتنطلق إلى عالم أكثر غنى واتساعا.

كما لا يمكن إغفال الدور الثقافي للقصة في حياة الطفل، فمع أنها نوع أدبي تحمل مضمونا ثقافيا، لذا فإن بعض الباحثين في الثقافة والشخصية يعتبرون تحليل القصص الشائعة عملية تقود إلى تحليل بعض سمات روح المجتمع الذي تشيع فيه، وتحليل قصص الأطفال بالذات يقود إلى الوقوف على سمات عديدة من تحديد ما يريده الكبار لأطفالهم) ([[8]](#footnote-9)).

**ثانيا: نشأتها عربيا عالميا:**

تمت الإشارة إلى نشأة أدب الأطفال عربيا وعالميا، ولكي لا نقع في التكرار سنركز على من شارك في وضع اللبنة الأولى لهذا الجنس الأدبي.

يرى كثير من الباحثين أن كتاب ( أمي الإوزة) لتشارلز بيرو الصادر سنة 1697، كان أول مجموعة قصصية كتبت خصيصا للطفل، وشكلت بداية مرحلة جديدة في تاريخ تطور الكتابة لهم، ويتضمن الكتاب حكايات شعبية عن الريف الفرنسي، أشهرها ( سندريلا، الجمال النائم، ذات الرداء الأحمر)، وفي ألمانيا ظهر ( الأخوان جريم) اللذان أصدرا حكايات الأطفال والبيوت في جزئين وضمت أكثر من مأتي حكاية، مستمدة من الحكايات الألمانية الفلكلورية القديمة التي كان يحكيها الأدباء للأبناء، ومنها ( الساحرة الشريرة، ليلى والذئب).

و العلامة الفارقة الثالثة والأكثر تميزا كان الدانمركي ( هانس كريستيان أندرسون) الذي عُدَ رائد أدب الأطفال في أوروبا، والأكثر شهرة في العالم كتب ( فرخ البط القبيح) التي أدخلت أدب الأطفال عهدا جديدا، وكذلك نذكر لويس كارول، آرثر لنسوم ماري دودج، وفرانك بوم وغيرهم([[9]](#footnote-10)).

أما عربيا: فيرى كثير من الباحثين أن الاهتمام بهذا اللون، لم يبدأ إلا في أواخر القرن التاسع عشر(19) وأكثرها كانت نقلا وترجمة واقتباسا، وكان ذلك على يد المرحوم كامل الكيلاني الرائد الحقيقي في ميدان النثر القصصي للأطفال، ذلك لكثرة ما ترجم واقتبس وألف من قصص نقل بها أدب الأطفال خطوات واسعة إلى الأمام من النواحي التربوية والفنية، أصدر قصته الأولى للأطفال ( السند باد البحري) سنة 1927، وظل مواصلا طيلة سنوات حياته الكتابة للأطفال مستمدا أغلب موضوعاته من التراث العربي والعالمي([[10]](#footnote-11)).

ومن السلاسل الشهيرة التي أصدرها: قصص رياض الأطفال – حكايات الأطفال، قصص من ألف ليلة وليلة، وقد عرف بأسلوبه القصصي البسيط، الممتع الأخاذ و الذي مزج فيه بين التسلية و الفائدة باعتبار القصة ( لونا من ألوان اللعب الإيهامي الذي يحتاج إليه الأطفال الصغار لأنها تعيد الاتزان إلى حياتهم) ([[11]](#footnote-12)).

وكان يهدف في كتاباته ترغيب الطفل بالقراءة ليقوي ( ميوله، وخياله، ويعمل على صقل مواهبه، وتأثر الكيلاني بأبي العلاء المعري، وشخصية جحا وكان يستخدم أحيانا ألفاظا أعلى من مستوى الأطفال ولكنه نجح بوضع مفردات لبعض الكلمات الغامضة، وقد ترك للأطفال مجموعة قصص) ([[12]](#footnote-13)).

ونذكر أسماء بعض كتاب قصص الأطفال العربي، مثل محمد عطية الإبراشي، يعقوب الشاروني، عبد التواب يوسف زكريا تامر، عبد الكريم الحيدري، محمد سعيد العريان وغيرهم كثير.

**ثالثا: عناصر القصة:**

لا تختلف قصة الطفل عن القصص العامة من حيث اشتراكها في الأسس البنائية و الشكلية، إلا أنهما يختلفان في طبيعة المواضيع والأحداث التي يتناولانها، وطبيعة الشخصيات، وبما أن قصص الأطفال لون من ألوان الأدب التي تستثيرهم فيقبلون عليها بشغف وإعجاب، فإن لها عناصر رئيسية أربعة يجب توافرها وهي: الموضوع، البناء، أو الحبكة، الشخصيات، الأسلوب.

**1: الموضوع أو الفكرة:** هو العمود الفقري للقصة، فيجب أن تتضمن فكرة أساسية تهدف إلى توجيه الطفل إلى السلوك السليم، فضلا عن إثارة انتباهه وجذب اهتمامه، ومن المهم أن يلمس الطفل الصدق فيها.

لأنه دائما يربطها بما يقال له، وما يتلقاه عن طريق هذا الأدب قراءة وسمعا، والفكرة ( ليست أمرا غامضا، وإنما هي ما يتعلق بمستوى الطفل، ويلائم خبراته واهتماماته مع الحذر من اقحام الموضوعات أو الأفكار بشكل مفتعل أو استخدام طريقة التلميح الذي يؤدي إلى الغموض بل يلجأ الكاتب إلى مراعاة قدرات الطفل العقلية في ذلك كله في استخدام الطريقة المناسبة في عرض الفكرة بحيث تستثير عند الطفل التفكير وتدفعه لتلمس الحلول واستنباط الحكمة) ([[13]](#footnote-14))، وفي بعض الأحيان توقع النهاية كما هي في أصل القصة.

ولا تشكل الفكرة في القصة لمحة عابرة أو سريعة، لأن الفكرة تظل في تطور مستمر أثناء الاستطراد في القصة، لأنها تظل تنبض في بناء القصة، وكلما اتخذت الفكرة طريقا مقبولا ومنطقيا في تطورها كانت نهاية القصة أكثر ثباتا واتفاقا مع بقية الحوادث والمواقف([[14]](#footnote-15)).

كما يجب أن تدور الفكرة حول موضوع واضح، ومحدد خاصة إذا اختار القاص لنفسه أهدافا واضحة، وغايات مسطرة لفائدة الطفل، وكثيرة هي المواضيع التي يسعى الكتاب إلى الأخذ منها، كقصص الأنبياء، أو التاريخ الإسلامي أو المأخوذة من القرآن الكريم، أو الخاصة بالقضايا الاجتماعية والنفسية كالتعاون وحب الخير ترك المنكرات، التضحية، الإيثار، احترام الوالدين، تقديس الأسرة وغيرها كثير.

**2- البناء و الحبكة:**

بعد أن تتضح الفكرة في ذهن الكاتب ويتم اختيار الموضوع، عليه أن يصنع سلسلة من الحوادث والوقائع تكون بنية القصة، بحيث تكون خاضعة للتسلسل بشكل يؤدي إلى الوصول للنتائج، كما تكون مقدمة بطريقة مقنعة مما يجعل من مجموعها وحدة متماسكة الأجزاء([[15]](#footnote-16))، و الحبكة بمعنى آخر هي ( إحكام بناء القصة بطريقة منطقية مقنعة أي أن تكون الأحداث و الشخصيات مرتبطة ارتباطا منطقيا يجعل منها وحدة متناغمة) ([[16]](#footnote-17)).

و الحبكة الجيدة والناجحة هي التي ( تقوم على تخطيط جيد للأحداث يبدأ من البداية، وتتنامى الأحداث ويتأجل الصراع حتى القمة ويكون هذا النمو عن طريق الصراع، أو التناقص في الأحداث والموقف، أو التكرار والتضاد) ([[17]](#footnote-18))، فالحياة ببساطة هي عقدة تتأزم فيها الأحداث وتظهر الصراع والتفاعل بين الأبطال تصل إلى ذروتها وينتهي عادة بحل، الذي يكون نهاية القصة.

يجب أن تكون الحبكة منسوجة بعناية ومهارة، كما يجب أن تتوافر فيها السمات التي تناسب مستوى الأطفال الذين تعد لهم القصة، وإذا ما حاد عن هذا فإنها لا تعتبر عملا أدبيا ناجحا من وجهة نظر أدب الأطفال السليم([[18]](#footnote-19))، ومن هذه السمات والشروط نذكر الصدق، الابتعاد عن الخدع و الحيل، أن يكون الحل ملائما للعقدة، أن يكون هناك رباط بين الأحداث والشخصيات، وتطور الأحداث بشكل استطرادي ومتسلسل قريب من خبرات الطفل وآماله وتطلعاته.

**3- الشخصيات:**

هي العنصر الرئيس في العمل القصصي، وخاصة فيما يتعلق بقصة الطفل الشديد التعلق بها وبحركتها كأنه دائم التقليد لها، وعلى ذلك فهي عنصر مهم وأساس وجب الاهتمام برسمه بصورة دقيقة، وعناية حتى تجذب الطفل إليها، ولا تبدو في مقابل ذلك باهتة مملة، متناقضة في أقوالها وأفعالها ( فالقارئ بحاجة إلى أن يرى الشخصية أمامه حية، أو مجسمة واقعية، وأن يسمعها تتكلم بصدق وحرارة وإخلاص) ([[19]](#footnote-20)).

ويتعاطف الأطفال مع شخصيات القصص تعاطفها شديدا وخاصة مع الشخصيات التي تعاني وتكابد دون تردد أو كلل من أجل تحقيق أهدافها، ويدفع بهم تعاطفهم هذا إلى القلق أو إطلاق صيحات الاستغاثة أو البكاء حين تتعرض الشخصية لموقف محزن أو مجرح ويطلقون ضحكات صاخبة ويصفقون عاليا حين تنتصر الشخصية التي يحبونها([[20]](#footnote-21)).

ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان الكاتب قادرا على رسمها رسما متقنا يجعلها أقرب إلى الحقيقة، وفي هذا إقناع للطفل على تصديقها، وحب واحترام ما تقوم به من أفعال، بل ومحاولة مجاراتها في ذلك.

الشخصيات نوعان:

1- شخصيات نامية: هي ( المتفاعلة مع الأحداث، فتتطور من موقف لآخر، وتتغير تصرفاتها تبعا لتغيير الظروف و المواقف ومثل هذا النوع حي ومؤثر في القارئ) ([[21]](#footnote-22)).

وتكتمل الشخصية النامية باقتراب نهاية القصة، لأنها ليست معطى قبلي وجاهز

2- أما الجاهزة أو الثابتة كما يسميها الدكتور عز الدين إسماعيل عن " إدوين موير"، وهناك من يسميها المسطحة أيضا، وهي التي لا تتأثر بالمواقف والأحداث المتغيرة، لأنها ذات بعد واحد، لا ينتابها النمو في مراحل العرض القصصي([[22]](#footnote-23)).

وسواء كانت الشخصية نامية، أو جاهزة، فالمهم هو العناية برسمها، واتسامها بالوضوح و التجديد والصدق الفني، مع مراعاة المراحل العمرية للأطفال لأنهم ليسوا في مستوى معرفي وإدراكي واحد، فلكل مرحلة ما يميزها- وهو درجة التأثير في الطفل- فطفل المرحلة الأولى ليس بحاجة إلى القصص الواقعية أو التاريخية، أو الدينية إنه بحاجة إلى ما يشبه البيئة التي يعيش فيها، لأنه يعرفها ويألف ما هو موجود فيها، فيجب أن تكون قصيرة المدى، بسيطة، أحداثها محدودة، سريعة الوقوع والانتهاء.

**5- الأسلوب:**

بعد تحديد الفكرة ورسم الشخصيات، ووضع ملامح البناء والحبكة، يأتي أسلوب كتابة القصة، والأسلوب ( هو الطريقة التي يلتزمها الكاتب لعرض القصة، به تظهر خبراته الشخصية ومقدرته على اختيار الألفاظ وحسن الانتقال من حدث إلى آخر وتوفير جو معين عن الموضوع والفكرة، وتختلف الأساليب باختلاف الكتاب، ولكن هناك عناصر أساسية يراعيها كل كاتب قدير ليضمن لقرائه المتعة المنشودة) ([[23]](#footnote-24)).

يوجد أكثر من طريقة وأسلوب في كتابة القصة للطفل على الكاتب أن يختار بينها: ([[24]](#footnote-25))

أ- الطريقة المباشرة: يكون فيها الكاتب خارج أحداث القصة.

ب- طريقة السرد الذاتي: فيها يكتب المؤلف على لسان أحد شخصيات القصة.

ج- الطريقة الوثائقية: فيها يقدم المؤلف القصة عن طريق مجموعة من الخطابات أو اليوميات أو الوثائق المختلفة.

وأيا كانت الطريقة التي يستخدمها المؤلف، فإن براعته في أسلوب العرض لها أكبر الأثر في نفس قارئها كاعتماد الوضوح، والقوة و الجمال عن الفكرة، بساطة التراكيب في الجمل و الفقرات، وأسلوب القاص الجيد هو الملائم للعناصر سالفة الذكر ( الحبكة، والشخصيات و الموضوع) وهو الذي يستطيع أن يوقظ حس الطفل ويحلق به بعيدا ويمتعه، ويكسبه ثروة لغوية ينمي بها قدراته، ويزيدها في قاموسه ومحصوله اللغوي.

**رابعا: أنواع القصة الموجهة للطفل:**

القصة شيء من غذاء الروح و العقل والذوق وغذاء الأطفال غير غذاء الكبار، إذ يختلفان في النوع والكم والأسلوب أكثر، وقد حدد بعض الكتاب أنواعها تصل إلى أربعين نوعا نذكر منها:

القصص التاريخية، القصة الواقعية، القصص الاجتماعية، قصص البطولة والمغامرات، قصص الحيوان، قصص الرسوم أو القصة المرسومة المصورة، القصص المتحركة، القصص الدينية، قصص الغرائب، الخرافية، القصص الأسطورية، قصص العلمية، قصص الخيالية، قصص الجان، قصص الألعاب الرياضية وغيرها.

1. ()- ينظر: علي كنعان: أدب الطفل وثقافته، ص 89. [↑](#footnote-ref-2)
2. ()- محمد يوسف نجم: فن القصة، دار الثقافة، لبنان، بيروت، ط05، 1966، ص 09- 10. [↑](#footnote-ref-3)
3. ()- حسن شحاته: أدب الطفل العربي، دراسات وبحوث، الدار المصرية اللبنانية، ط03، 2004، ص 145. [↑](#footnote-ref-4)
4. ()- سمير روحي الفيصل: أفاق تقديم قصص الأطفال في سورية الموقف الأدبي مجلة أدبية شهرية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد10، 1979، ص 60. [↑](#footnote-ref-5)
5. ()- حسن شحاتة: أدب الطفل العربي، ص 146. [↑](#footnote-ref-6)
6. ()-علي كنعان: أدب الطفل وثقافته، ص 112. [↑](#footnote-ref-7)
7. ()- محمود حسن إسماعيل، المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي القاهرة، ط 2011، ص 128. [↑](#footnote-ref-8)
8. ()- هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، ص 183. [↑](#footnote-ref-9)
9. ()- ينظر حسن إسماعيل، المرجع في أدب الأطفال، ص 126- 127. [↑](#footnote-ref-10)
10. ()- ينظر فوزي عيسى، أدب الأطفال،ص 255. [↑](#footnote-ref-11)
11. ()- علي كنعان، فرح سليمان، أدب الطفل وثقافة الأطفال، ص 89. [↑](#footnote-ref-12)
12. ()- ينظر مدثر حميد، أدب الأطفال العربي وتطوره، مجلة القسم العربي، ص 158. [↑](#footnote-ref-13)
13. ()- حسن إسماعيل، المرجع في أدب الطفل، ص 130. [↑](#footnote-ref-14)
14. ()- ينظر: هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، فلسفته فنونه، وسائطه، ص 139. [↑](#footnote-ref-15)
15. ()-انشراح المشرقي، أدب الطفل للتربية الإبداعية، ص 14. [↑](#footnote-ref-16)
16. ()-حسن إسماعيل، المرجع في أدب الأطفال، ص 133. [↑](#footnote-ref-17)
17. ()- علي الحديدي، في أدب الطفل، ص 117. [↑](#footnote-ref-18)
18. ()- ينظر حسن إسماعيل: المرجع في أدب الطفل، ص 135. [↑](#footnote-ref-19)
19. ()- انشراح المشرقي: أدب الطفل، ص 15. [↑](#footnote-ref-20)
20. ()- ينظر: هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، ص 28- 29. [↑](#footnote-ref-21)
21. ()- انشراح المشرقي، أدب الطفل، ص 16. [↑](#footnote-ref-22)
22. ()- ينظر: حسن إسماعيل: المرجع في أدب الطفل، ص 138. [↑](#footnote-ref-23)
23. ()- حسن إسماعيل: المرجع في أدب الطفل، ص 140. [↑](#footnote-ref-24)
24. ()- هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال، ص 144. [↑](#footnote-ref-25)